ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

القوى

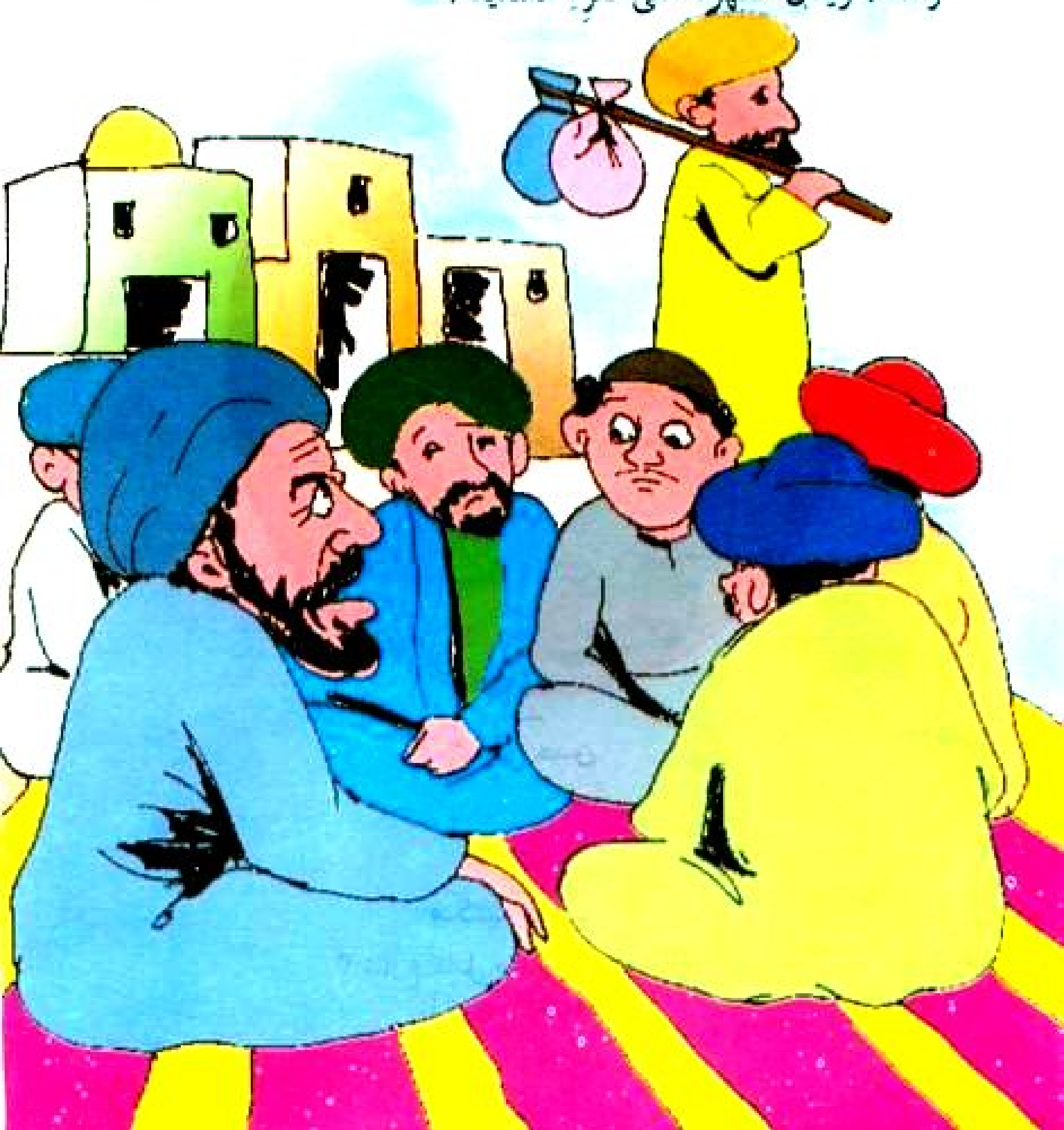
الثرى المغرور

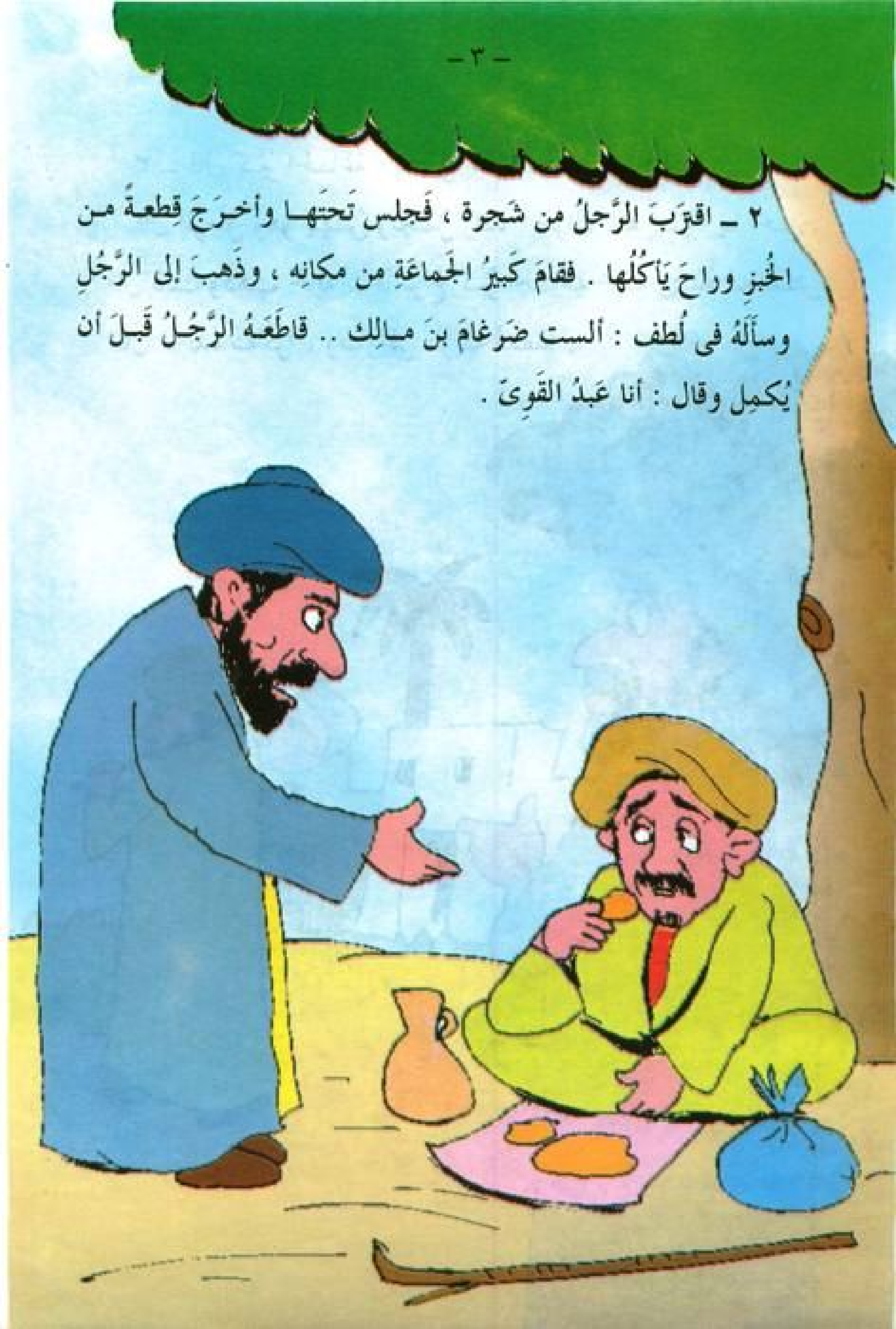


بقلم ورسوم : شوقي حسن

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١ ـ مرَّ رجلٌ بجماعـةٍ يَجلِسـونَ ويَسـتَمعونَ إلى كَبـيرِهم ، وحـينَ رأى كبيرُهم الرَّجُلَ توَقَّفَ عَن الحَديـثِ وقـال فـي دَهشَـة : لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللّهِ ! كانَ الرَّجلُ يرتدي ملابسَ رَثَّة ، ويَحملُ من يَدِهِ زادَه ، ويَدلُّ مَظهَرُهُ على فَقرِهِ الشَّديد .



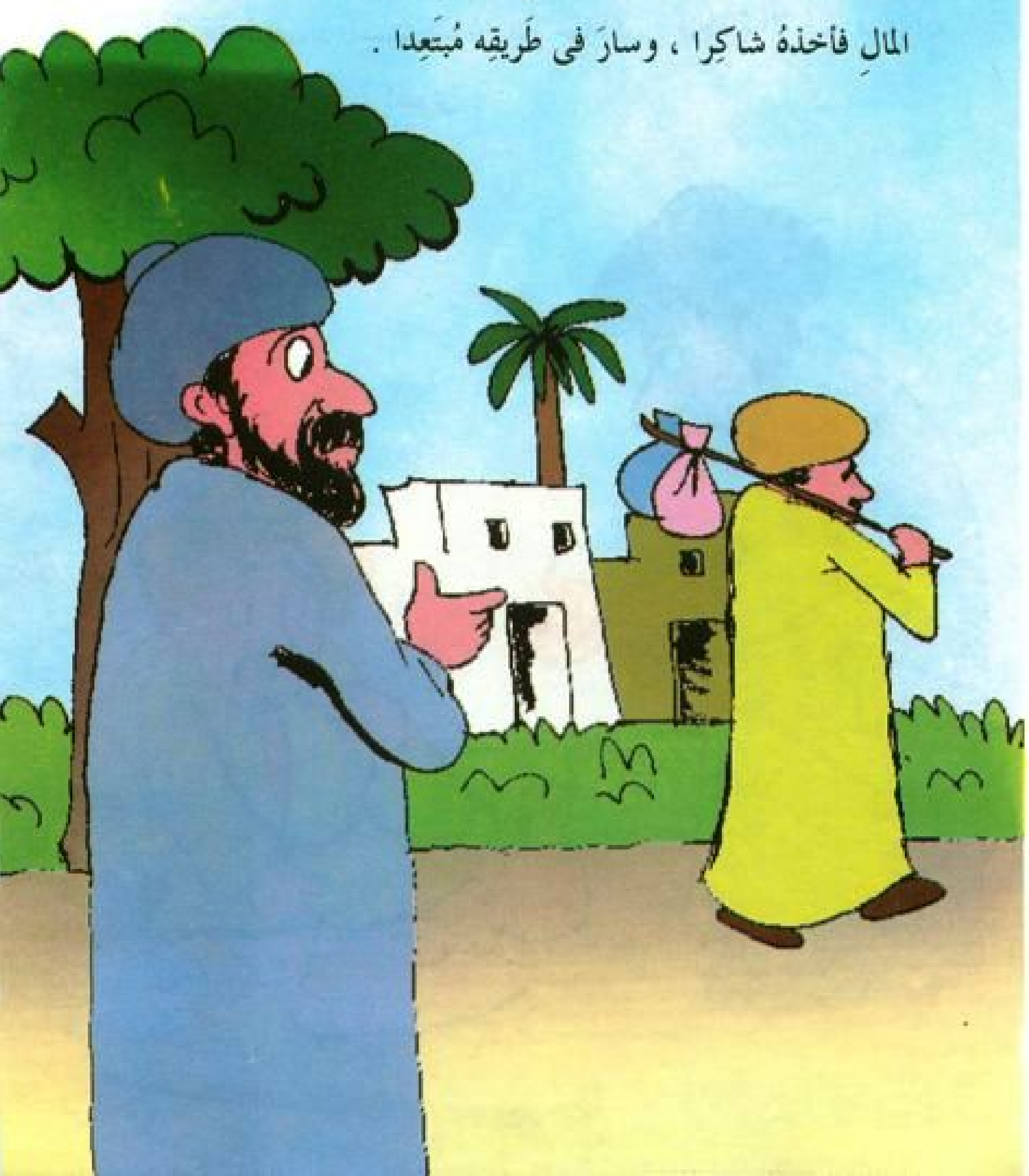


٢ ـ اقترَبَ الرَّجلُ من شَجرة ، فَجلس تَحتَهـا وأخـرَجَ قِطعـةً من الخُبزِ وراحَ يَأكُلُها . فقامَ كَبيرُ الجَماعَةِ من مكانِه ، وذَهبَ إلى الرَّجُلِ وسأَلَهُ فى لُطف : ألست ضَرغامَ بنَ مـالِك .. قاطَعَهُ الرَّجُـلُ قَبـلَ أن يُكمِلَ وقال : أنا عَبدُ القَوِىّ .

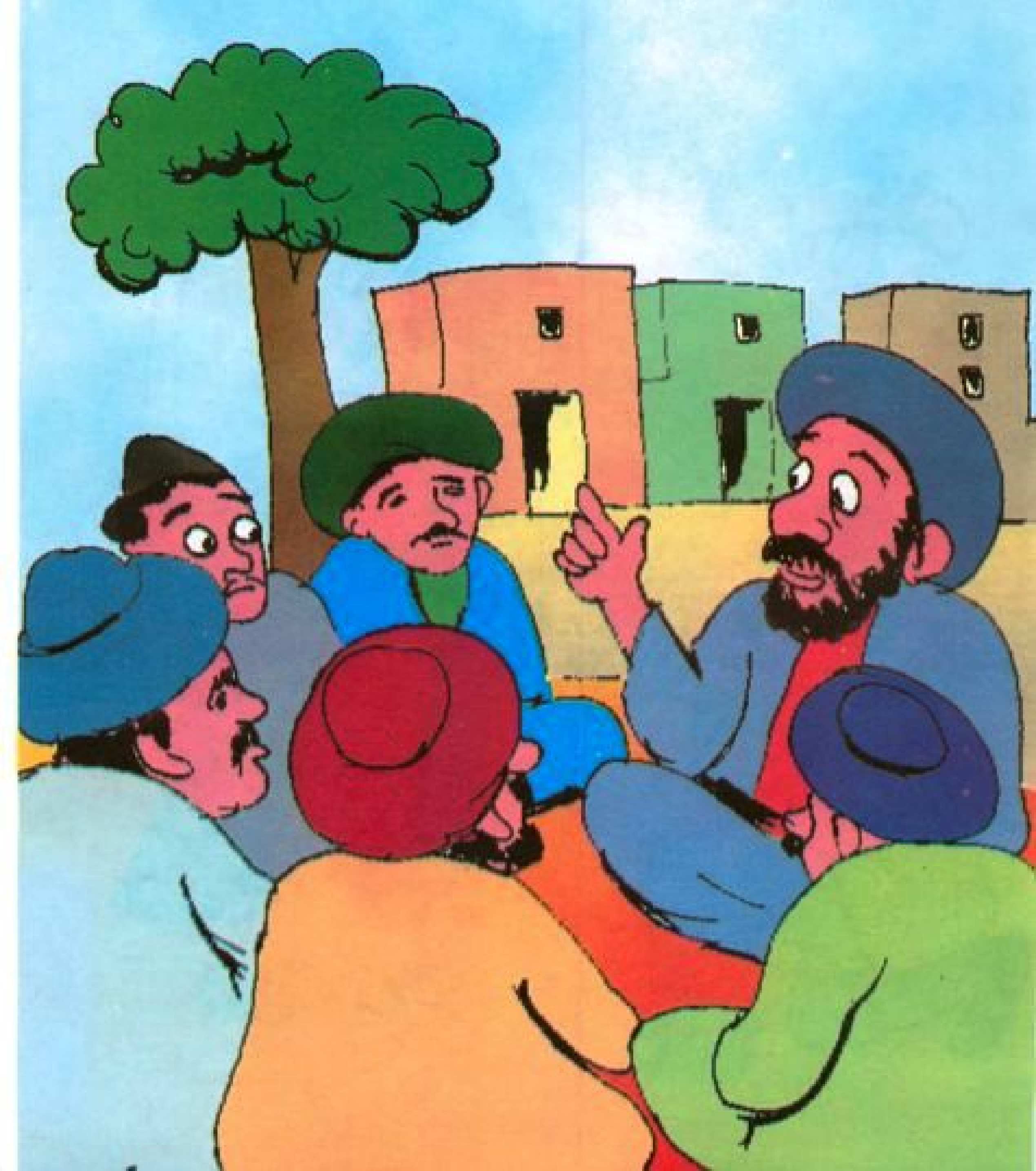
٣ ـ قالَ كَبيرُ الجَماعَة : تفضَّل عِندَنا نُحسِنْ ضِيافَتَك .

قالَ الرَّجُل وهو يَنهضُ ويَحمِلُ زادَه : جَزاكَ اللّه خيرًا يا أَخى .

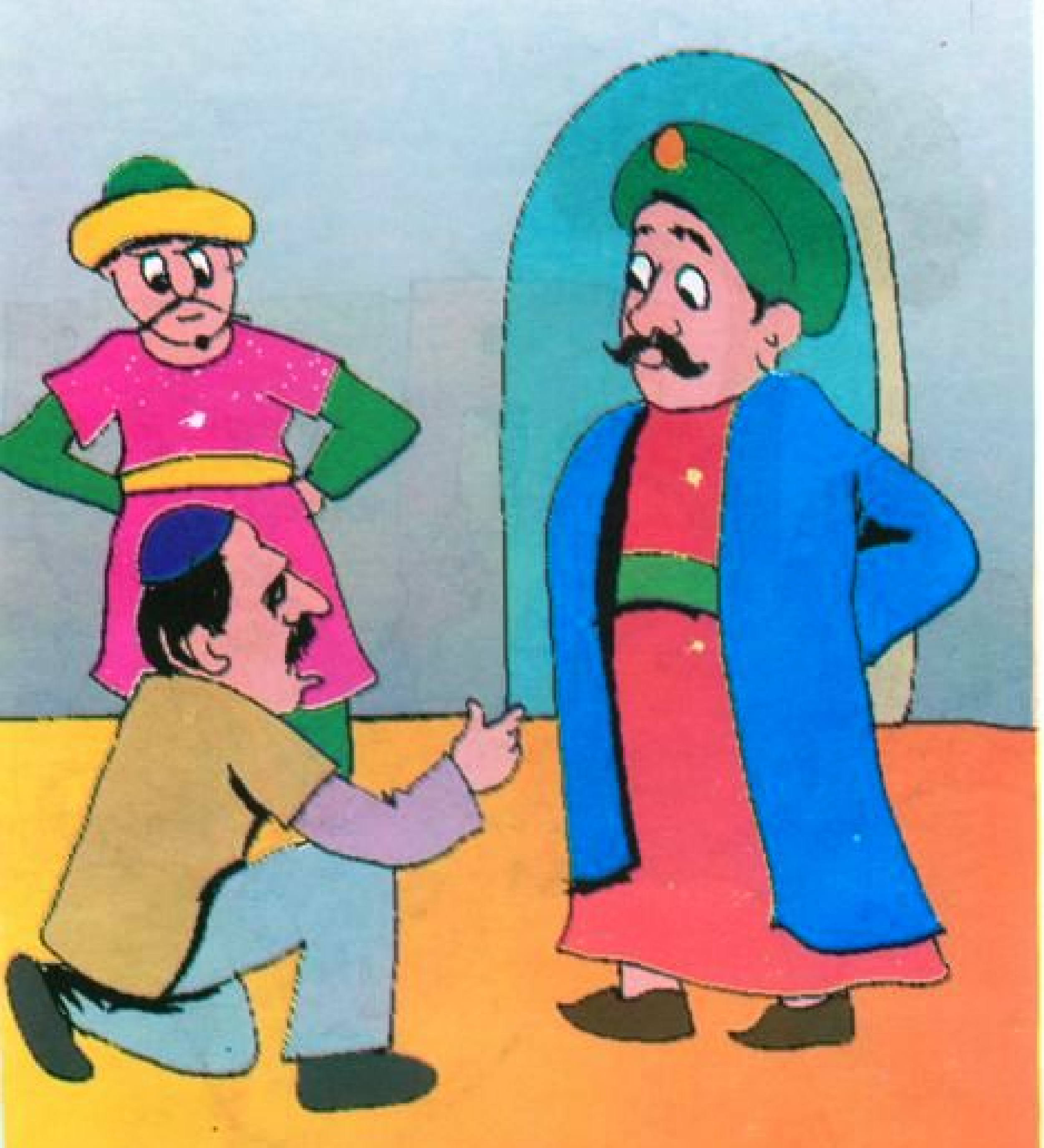
قالَ ذلِكَ وذَهبَ لحالِه .. فأسرَعَ كبيرُ الجماعَةِ خَلفَه وقدَّمُ له بعضَ المالِ فأخذهُ شاكِرا ، وسارَ فى طَريقِه مُبتَعِدا .



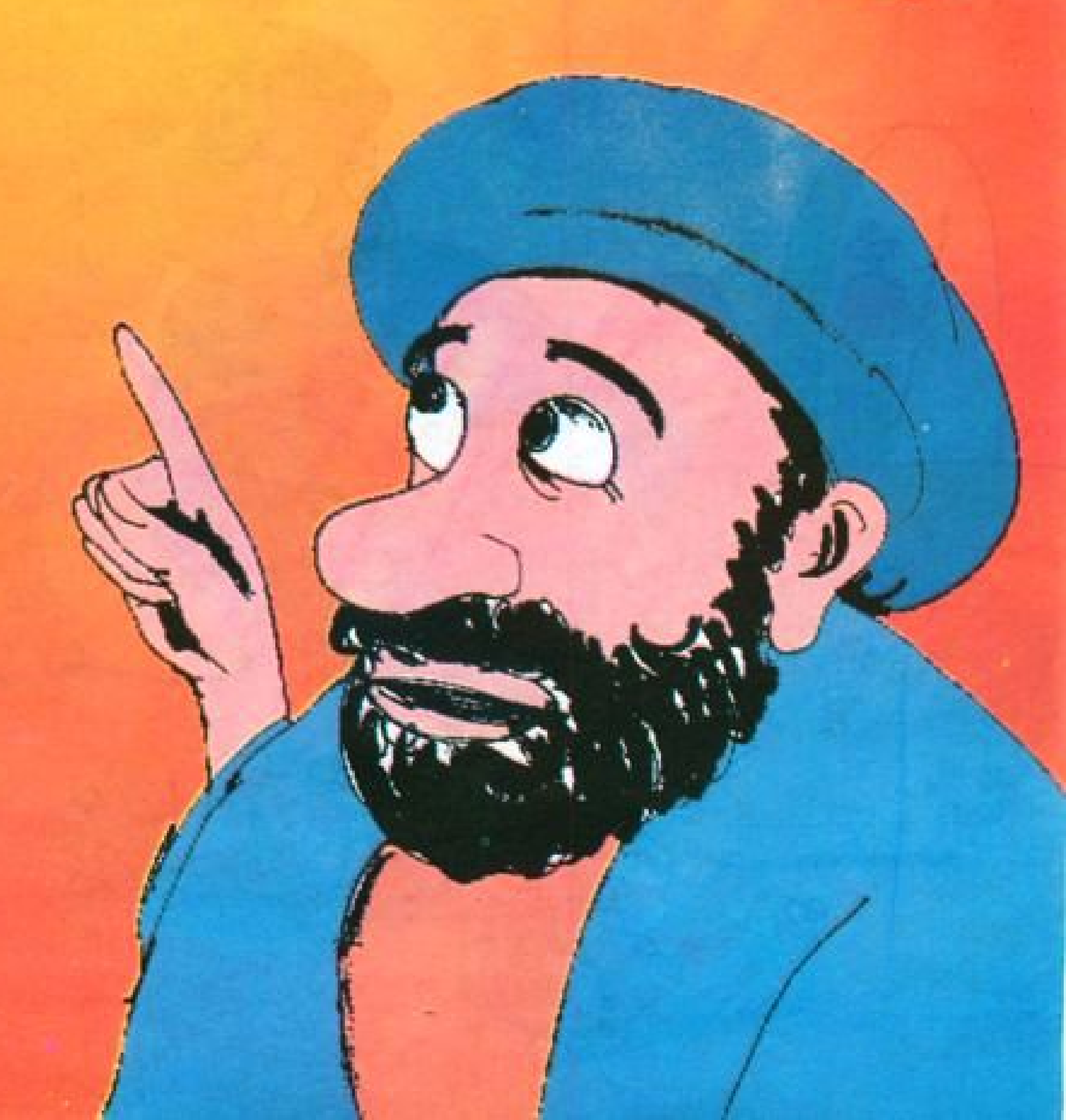
٤ ـ عِندما عادَ كَبيرُ الجَماعةِ إلَى أصْحابـه ، سـألوهُ عن أمرِ هَـذا الرَّجُل ، فقالَ لهم : إنَّ له قِصَّةً فيها مَوعِظَةٌ لِلنّـاس .. فطلَبـوا مِنـه أن يَحكيها لَهم . فقالَ لَهم :



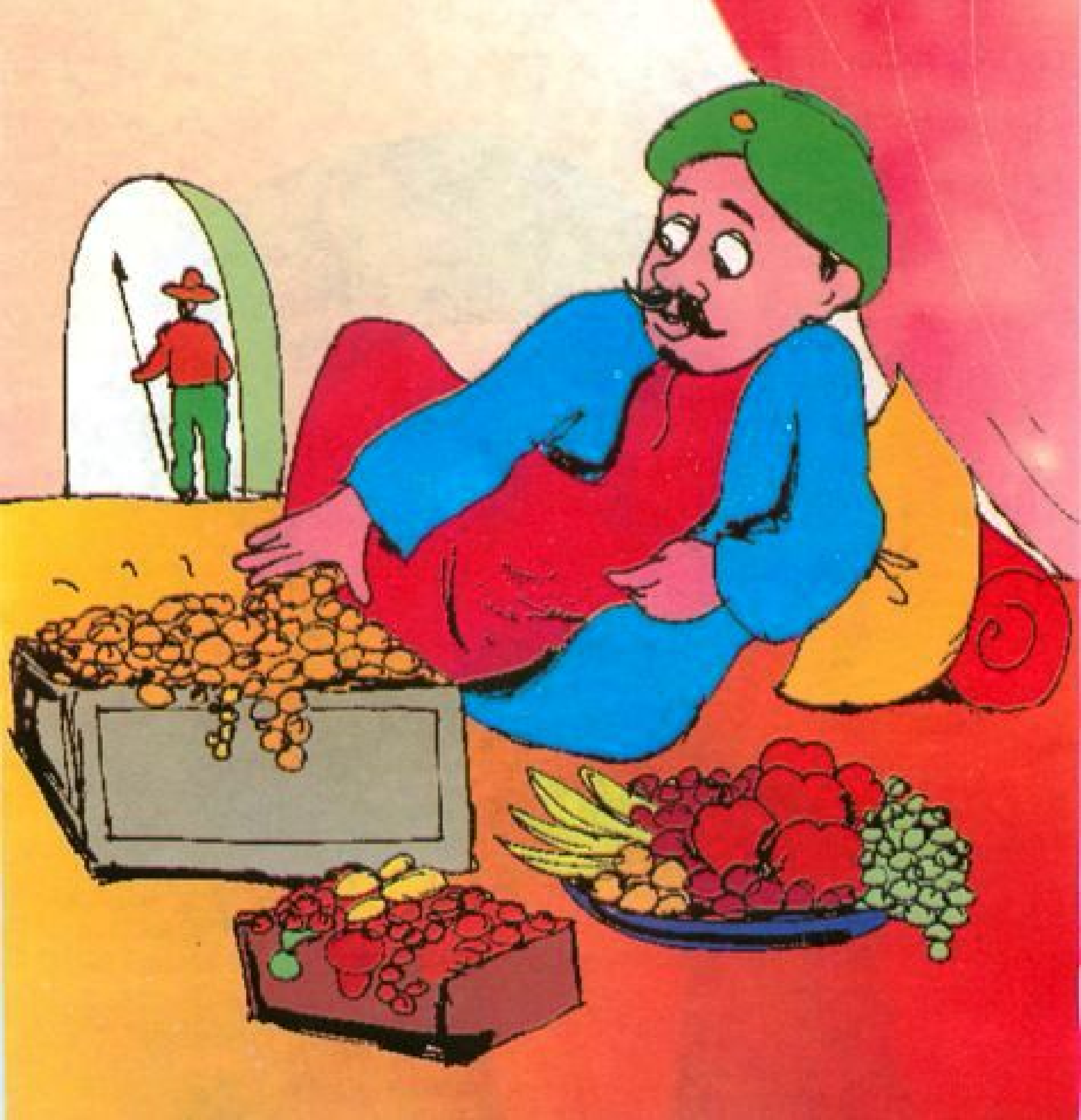
٥ ـ كان هُنَاكَ تاجرٌ ذو سُلطانٍ ومال ، راحَ يَبطِشُ بالضُعفاءِ حتّى أصبحَ النَاسُ يَخافونَه ، ويَعملُ التُجّارُ حِسابَه ، وكان دائما يَتباهَى بقُوَّةِ نُفوذِه .



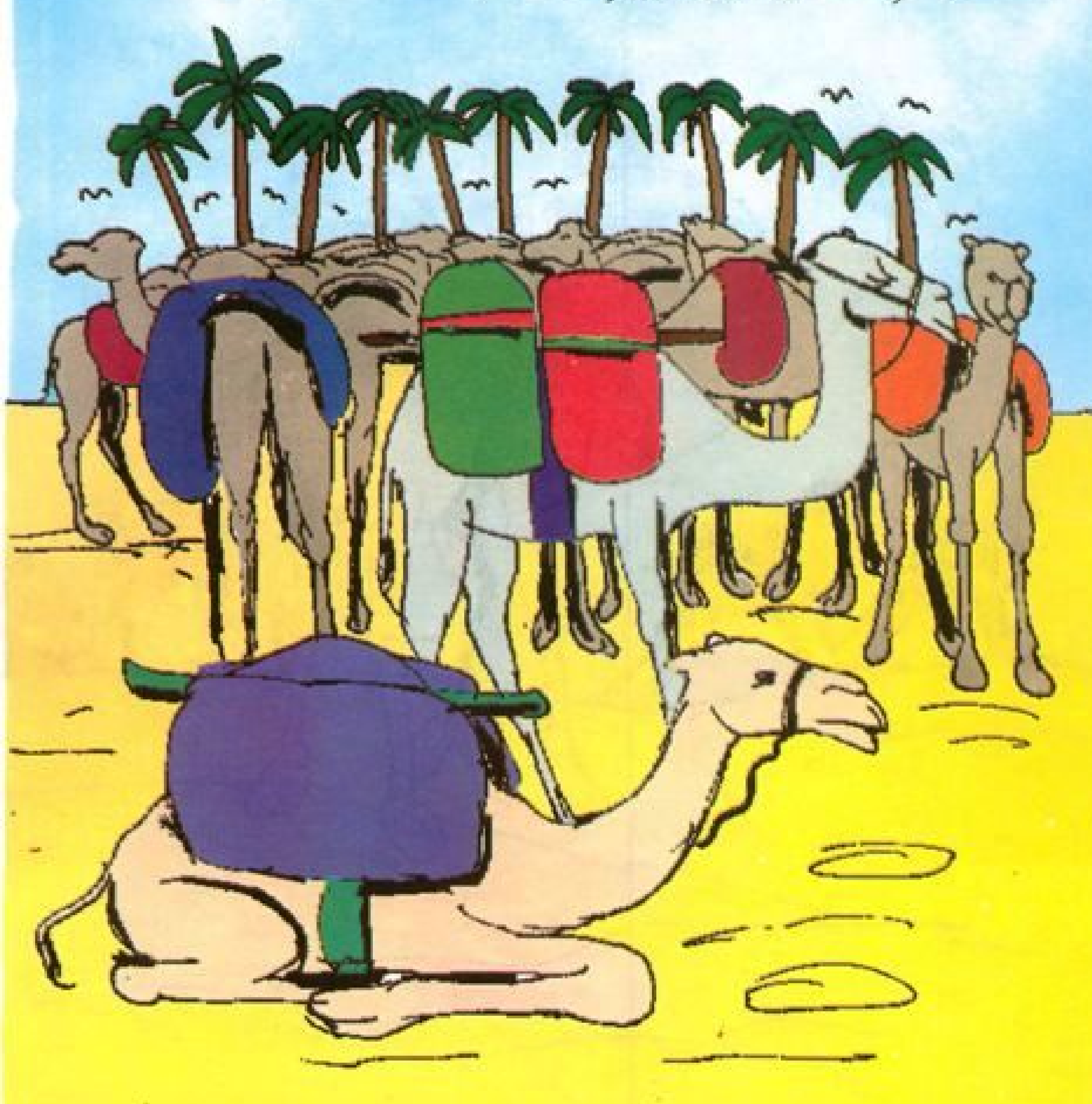
٦ ـ ولو كانَ هذا التّاجِرُ الغنيُّ يَخشَى اللّهَ يا أَصْحابى ، ما فَعلَ ما فَعلَه ، فالقُوّةُ لِلّه وَحدَه ، هو القَويُّ ـ سُبحانَه وتعالى ـ ولا أحدَ قَويٌّ إلاّ بقُدرةِ اللّه ، ولا أحدَ يَستَطيعُ أن يقضى شَيْئاً أو يَفعَلَ شَيئاً إلا بقُوّةِ اللّه .. فاللّهُ مَنحَنا القُوّة ، وأعطانا السَّيطرَةَ عليها فى الحَياةِ الدُّنيا فقط .



٧ ـ واللهُ ـ سُبحانَهُ وتعالَى ـ يا أصحابى ، هو وحدَهُ القادِرُ على أن يُبَدِّلَ الضَّعفَ إلى قُوَّة ، وأن يبَدِّلَ القُـوَّةَ إلى ضَعـف ، وليـس هـذا فى قُدرةِ أحدٍ إلاَّ الله . وهذا هو ما جرَى لصاحِبِنـا ، فقـد بـدَّلَ اللّـهُ قوَّتَهُ إلى ضعف .



٨ ـ قالَ أحدُهُم : وكيفَ جَرَى ذلكَ يا شَيخَنا ؟ قالَ كبيرُهم : خَرجتْ قافِلةٌ بتجارَته يَوما ، وكانت أكبرَ قافِلَةٍ تَراها عَينى ، وقد مرَّت بِنا هُنا فى طَرِيقِها إلَى بِلادِ الشَام .



٩ ـ وبينَما القافِلةُ في الطَّريق ، هبَّتْ ريحٌ عاصِفَةٌ أطاحتْ بكُلِّ شَيء ، فرَّقتِ الجِمالَ بما تَحمِلُهُ من بَضائعَ وأموال . فلمَّا هَدأتِ العاصِفةُ لم يُعثَرْ لِلقافلةِ علَى أثر ، وعُثر على رِجالِ القافِلَةِ فى حالَةٍ يُرثى لها .



١٠ ـ تأثَّر التَاجِرُ الغنىُّ بما أصابَه ، ولكنَّـه لم يَرجِع عن غُرورِه ، وتظاهَر بقُوَّته رَغمَ ما أصابَه . وخرجَتْ له قافِلَةٌ أخرى في تِجارَة ، وقد طلبَ من قائدِها أن يَبتعِدَ عن الطَّريقِ المَألوفَة ، الَّتى هاجَمتِ الرِّيحُ فيها قافِلَته .



١١ ـ سارَت القافِلَةُ في طريقٍ غَيرِ مُعتادَة ، وغيرِ مَعلومَةِ عَواقِبِها . وفجأةً هبَّت مرةً ثانِيةً ريحٌ عاصِفَةٌ أطاحتْ بكُلِّ شيء ، وفرَّقتِ الجِمالَ بما تَحمِلُهُ من بَضائعَ وأموال . وعلِم التاجِرُ بما جرَى فأصابَهُ الحُزنُ والمَرض .



١٢ ـ خَسِرَ التّاجِرُ كلَّ ثَروَتِهِ حتّى أصبحَ فَقيرًا مُعدِمًا ، فسمّى نَفسَه عَبدَ القويّ ، اعْتِرافًا بقُوَّةِ اللّه ـ سُبحانَه وتَعالى ـ وأصْبحَ هائمًا على وَجهِه ، يَجوبُ البِلادَ والقُرَى لا يَحملُ إلاّ زادَه ، ويطلبُ المَغفِرةَ من اللّه .

١٣ ـ هذه هى قِصَّةُ صاحِبنا يا أصدِقائى . فمهما كانَ الإنسانُ قَوِيًّا بصِحَّتِه أو بمالِه أو نُفوذِه ، لا يَقدرُ أن يُفلِتَ من قُوَّةِ اللَّه .. فإن أراد اللَّهُ بأحَدٍ سوءًا .. لا يقدر بقوَّتِهِ أن يدفعَ هذا السّوءَ عن نَفسِه ، ذلك أنّه لا يوجد مَخلوقٌ لِلّه ، يَقدِر علَى أن يُفلِتَ من قُوَّةِ اللّه .



١٤ ــ قالت الجماعة : سُبحانَ اللّه ، لا إلـهَ إلاّ هـو . وقـال أحدُهم : كان لى جارٌ يا شيخَنا يَستعمِلُ ذِراعَه فى أذَى النّاس ، فأصابَ اللّهُ ذِراعَه بالمَرض . قال كبيرهُم : لو كانت هذهِ القُوَّةُ ذاتِيَّة ، ما استَطاع أحدٌ أن يَسلُبَها ، ولكنّها قُوَّةٌ من اللّهِ ــ سُبحانَه وتَعالى ــ يُعطيها لك إذا أراد أو يسلُبُها منك . وهكذا فإنَّ القُوَّةَ فى هذا الكَونِ كُلّه هِى للّه جَميعا .



١٥ ـ قال أحدُهم : ما أجملَ حديثَنا اليوم ، واللّهِ لو تَحدَّثنا كلَّ يومٍ في مثلِ هذا ما وَجدنا حديثًا أفضلَ منه . وقال آخَر : لنجعلْ حَديثَنا غدًا إن شاءَ اللّهُ عن اسمٍ من أسماءِ اللّهِ الحُسنَى . قالَ كبيرُهم : وهو كذلِك ، فلا أحَبَّ إليَّ من الحَديث عن اللّهِ ـ سُبحانَه وتعالَى ـ .

